الفصل الثالث

مذكرات قادة الثورة العرابية مصدرا تاريخيا

فى أعقاب انتهاء الثورة العرابية شهدت حركة كتابة المذكرات التاريخية ازدهارا واضحا رغم عدم تأصلها فى كتابات الزعماء وقادة الرأى المصريين قبل ذلك.

وترجع أهمية كتابة هذه المذكرات إلى أن معظم من كتبوها كانوا من قادة هذه الثورة الذين شاركوا فى أحداثها ثم أوضحوا وجهة نظرهم فى هذه الأحداث.

فقد كتب أحمد عرابى زعيم هذه الثورة وصانعها مذكراته المعنونة "كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية" عام ١٢٩٨ و ١٢٩٩ هجرية الموافق ١٨٨١ و ١٨٨٢ ميلادية.[١] وكتب محمود فهمى المهندس وزير الأشغال أثناء الثورة "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وإخبار الأوائل والأواخر". كما كتب أيضا ذكرياته بعنوان "أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية" وكتب عبد الله النديم ذكرياته وخواطره تحت عنوان "كان ويكون" التى روى فيها بعض أحداث الثورة وأحواله فى فترة الاختفاء، وكتب الشيخ محمد عبده "تاريخ أسباب الثورة العرابية" الذى تعرض فيه للثورة ورجالها.

---

[١] نشر مركز تاريخ مصر المعاصر بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق هذه المذكرات محققة لأول مرة فى ثلاثة مجلدات عام ٢٠٠٥م حيث قام الدكتور عبد المنعم الجميعى بتحقيقها وكتابة مقدمتها.

وهذا الفن الجديد من الكتابة التاريخية جاء نتيجة لمعرفة المصريين بالسياسة بمعناها الصحيح، واشتراكهم فى إحداثها، واضطلاعهم بمسئوليات قيادة الرأى العام لأول مرة. وفيما يلى نعرض لهذه المذكرات.

أولا: مذكرات الزعيم أحمد عرابى:

أنها فى الواقع أقرب إلى التقارير منها إلى المذكرات خاصة وأن شرط المذكرات أنها تصور الحادث وقت وقوعه والرأى عند تكوينه فى حين ان عرابى استعاد ذكريات حوادث الثورة العرابية بعد وقوعها بحوالى ربع قرن كما أنه فى أثناء كتابته كان متأثرا بالنتائج التى ترتبت على ما حدث لمصر من نتائج فى أعقاب انتكاسة الثورة. وإذا سمينا ما كتبه عرابى تجاوزا مذكرات نقول أن عنوانها ضخم ومثير وهو "كشف الستار عن سر الأسرار" والذى يقرأه لأول مرة يتصور أن عرابى سيكشف لقرائه الأسرار التى لا يعرفها أحد غير أن ماورد فى صفحاتها غير مطابق لمسماها ولا يوافق معناها فمن يتفحصها بشكل دقيق لا يجد أنها كشفت ستارا عن شئ غير معروف ولا أفشت أسرارا فى موضوعات لا يعرفها أحد وربما الذى دفع عرابى إلى اختيار ذلك الإسم هو طبيعته العسكرية التى تتوخى السرية والكتمان حتى فى أبسط الأمور، يضاف إلى ذلك أن ما كتبه عرابى لا يزيد عن ذكريات متزاحمة، وقائعها فى كثير من الأحيان غير منتظمة، ويرجع السبب فى ذلك إلى ما تعرض له عرابى فى سنواته الأخيرة من اضطراب، كما أن تقادم الأحداث فى ذاكراته جعلته يخلط بعضها بالآخر.

وأوراق هذه المذكرات المكونة من ٧١٣ صفحة من القطع الكبير وتضم كل صفحة حوالى ٣٤ سطرا وكل سطر يشمل حوالى ١٦ كلمة والمقسمة إلى جزئين[١]، والمحفوظة أصولها فى دار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة[٢]، تغطى فترة طويلة ومهمة من تاريخ مصر الحديث حيث تتطرق إلى عهود أربعة حكام من أسرة محمد على هم "سعيد باشا"، و"إسماعيل باشا"، و"الخديو توفيق"، و"الخديو عباس الثانى".

وقد قسم عرابى هذه الأوراق فى بعض الأحيان إلى أبواب عديدة، وقسم كل باب إلى عدة فصول[٣]، وأغلب الفصول ذات صفحات قليلة. فعلى سبيل المثال يتكون الباب الأول من ثمانية فصول، ولا تزيد عدد صفحات هذه الفصول جميعها عن ثمان صفحات ونصف صفحة أى بمعدل صفحة لكل فصل، وهو طابع غالب على مصنفى الكتب الدينية، ويبدو أن تأثر عرابى بثقافته الدينية قد دفعه إلى اتباع ذلك النمط من الكتابة، كما يظهر هذا واضحا فى عدة أمور مثل كتابته لكلمة "الصلاة" بالواو (الصلوة) كما هو خط المصحف.

ومما يؤخذ على هذا المخطوط أن عرابى لم يضع له خطة محددة قبل كتابته بل كان يكتب كل ما يرد فى ذهنه من موضوعات على سبيل تداعى

---

(١)يتوقف الجزء الأول عند صفحة ٢٦٧ ويستمر الجزء الثانى حتى ص ٧١٣.

(٢)دون عرابى مذكراته عن الثورة فى ثلاث كراسات كبيرة تكلم فيها عن حوادث الثورة جميعها، وقد حرص على كتابة ثلاث صور منها أحداها اهديت لدار الكتب المصرية ثم انتقلت إلى دار الوثائق،وهذه النسخة هى التى أتيح للباحثين الاطلاع عليها، والثانية والثالثة كانت لدى أولاده وهى صورة طبق الأصل من النسخة الأولى، وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قام أحد أبناء عرابى بإهداء مذكرات والده إلى اللواء محمد نجيب. ثم قامت دار الهلال بنشر أجزاء منها مع تصديرها بمقدمة للواء محمد نجيب. أنظر محمود الخفيف: أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، جـ٢، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧١، ص ٣٥٨.

(٣)توقف عرابى عند نهاية الباب الخامس عن ترتيب الأبواب والفصول وإن كان قد وضع كلمة فصل فوق بعض العناوين دون أن يحدد رقمه. وحرصا على استقامة نظام المخطوط فقد قمنا بترقيم الأبواب والفصول التى تركها عرابى.

الذاكرة، وإذا غابت عنه بعض المعلومات فى موضوع معين، وتذكرها بعد كتابته لموضوع آخر فإنه يكتبها فى صفحات أخرى متباعدة عن الموضوع الأصلى ثم يشير إلى ذلك استكمالا لعناصر الموضوع الذى تركه.(٤)

والمتصفح لما كتبه عرابى يتضح له أنه لم يكتب مخطوطه كله بخط يده بل أسهمت فى كتابته أكثر من يد اختلفت فى خطها رداءه وحسنا خاصة الأجزاء الأخيرة منه مما أفقد بعض الموضوعات تناغمها مع البعض الآخر، وأدى إلى تداخل بعض الحوادث فى بعضها البعض.

وحول الأسباب الرئيسية التى دفعت عرابى إلى كتابة مذكراته فقد أوضحها فى مقدمته لمخطوطه بقوله : "فانى قد أطلعت على كثير من الجرايد والتواريخ العربية والإفرنجية الموضوعة فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة، أو يشفى غليل الأمة، بل كل كاتب يذهب فى تدوين ما كتبه لترجيح مذهبه، ولو كان بعيدا عن الحقيقة بمراحل(٥)، ولذلك رأيت أن أكتب للناس كتابا يهتدون به إلى الحقيقة، تمحيصا للتاريخ، من درن الأهواء الفاسدة، والمفتريات الباطلة... قياما بالواجب على لأبناء وطنى الأعزاء، وبرا بهم، وتصحيحا للتاريخ وخدمة للإنسانية وبنيها".(٦)

---

(١)الأمثلة على ذلك متعددة أنظر صفحات ٧١، ٩٥، ١٠٨، ١٣٨، ٦٥٤، ٦٥٦ من المخطوط الأصلى.

(٢)قصد عرابى فى ذلك كتاب سليم النقاش "مصر للمصريين" حيث أوضح أن به الكثير من المغالطات والافتراءات واتهم صاحبه بأنه يخلط الحق بالباطل والصدق بالكذب على غير إرادة منه كما أوضح أن أقرب الروايات التاريخية فى ذكر الثورة العرابية هو كتاب المستر بلنت التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر.

Secret History of the English Occupation of Egypt.

وكتاب المستر برودلى "كيف دافعنا عن عرابى وصحبه".

How we Defended Arabi and his Friends.

(٣)مقدمة المخطوط، جـ١، ص ٢.

وإلى جانب ذلك فقد ذكر عرابى أن الدافع الأكبر وراء تأليفه لكتابه هو وجود الكثير من الأسرار عن الثورة التى لا يعرفها غيره، لذلك رغب فى إظهارها للناس قبل وفاته قياما بالواجب عليه لأبناء وطنه.(٧)

ومعنى ذلك أن الكتابات المتحاملة على عرابى وثورته هى التى دفعته إلى تأليف كتابه، كما أن رغبته فى الإفصاح عما فى نفسه من أسرار، كانت مشجعا له على ذلك.

والسؤال هو لماذا تأخر عرابى فى تأليف كتابه لأكثر من ربع قرن بعد قيام ثورته؟ الواقع أن عرابى كان يفكر فى وضع كتاب عن الثورة العرابية قبل ذلك التاريخ، ويؤكد ذلك أنه أرسل إلى محاميه المستر "برودلى Broadley" فى عام ١٩٠٤ يطلب منه إمداده بالوثائق والأوراق التى كان قد سلمها إليها خلال دفاعه عنه، كما طلب منه السماح له بترجمة كتابه How we Defended Arabi وذلك كما يذكر إيضاحا للتاريخ وتبيانا للحقيقة.(٨)

ومع أن "برودلى" قد وافق على ترجمة كتابه فإنه لم يرسل لعرابى الأوراق الخاصة به بدليل وجودها بدار الوثائق محفوظة بترتيب برودلى لها، ومما يؤكد ذلك أيضا أن عرابى كرر محاولته حيث أرسل ابنه إلى "برودلى" فى عام ١٩٠٧ يطلب منه الأوراق المتعلقة بوالده بخصوص الثورة العرابية وذلك لرغبته فى إعداد كتاب عن تلك الفترة، ولما لم يتيسر لعرابى الحصول على هذه الأوراق بدأ يعد العدة للقيام بهذه المهمة معتمدا على ذاكراته وعلى

---

(٤)المخطوط، جـ١، ص ٣٣.

(1)A.M. Broadley: The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha, No 697 Arabi to Broadley 15 November, 1907.

الأوراق والمؤلفات الموجودة لديه والتى برز منها كتاب "مصر للمصريين" لسليم النقاش الذى اعتمد عليه عرابى اعتمادا كبيرا وقد نص على ذلك فى البعض من صفحات كتابه كشف الستار[٩]، كما اعتمد عرابى أيضا على الصحف عند التعرض للقوانين[١٠]، وعلى الذاكرة فى بعض الأحيان.

ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن عرابى خلط بعض الحوادث بالبعض الآخر، كما أن بعض المعلومات غفلت عليه، ولعل الفترة الزمنية الطويلة التى تناولها، وما تعرض له من هوان بعد هزيمة كانا السبب فى ذلك يضاف إلى ذلك أنه نسب لنفسه أشياء لم يفعلها.

وحول أسلوب المخطوط، فقد شابته بعض العبارات التركية التى كانت سائدة فى عصره فى المسميات الإدارية، والرتب، والعسكرية، وأسماء البلدان، وما شابه ذلك والتى نذكر منها على سبيل المثال كلمات الروزنامة، وتعنى بيت المال، ونظارة، وتعنى وزارة، والجهادية، وتعنى الحربية، والنافعة، وتعنى نظارة الأشغال مضافا إليها الزراعة، والحقانية، وتعنى العدل. والدواوين، وتعنى الإدارات والمصالح الحكومية. والقومسيون، وتعنى اللجنة. ودولتلو، وتعنى صاحب الدولة، وسعادتلو، وتعنى صاحب السعادة، والمابين الهمايونى، وتعنى المعية السلطانية، ومهر دار الخديو، وتعنى باشكاتب الخديو، والمستحفظين، وتعنى الحجز. والضبطية، وتعنى الشرطة، والرقيم، وتعنى المؤرخ، واستنطاق، بمعنى استجواب. وصاغقول اغاسى، بمعنى قائد فرقة.

---

(٢)انظر على سبيل المثال صفحات ٣٤، ٣٩٠، ٦٣٩.
(٣)المخطوط جـ١، ص ١٥٤.

أما عن الموضوعات التى تطرق إليها عرابى فى هذا المخطوط فقد تناول نسبه، ونشأته، والتحاقه بسلك العسكرية فى عهد سعيد باشا، وترقيته من تحت السلاح حتى وصل إلى رتبة القائمقام، ثم تغير أحواله فى عهد إسماعيل، خاصة وأنه واجه مظالم كثيرة لدرجة أنه رفت من الخدمة لوشاية فى حقه وعودته إليها بعد ذلك، واشتراكه فى الحملة الحبشية التى بدأتها مصر فى عام ١٨٧٥ وسرده للمآسى التى تعرض لها الجيش المصرى خلال هذه الحملة وانتقاده لاسماعيل باشا وعصره نقدا شديدا.

وتعرض عرابى لعزل اسماعيل ، وتولية توفيق أريكة الخديوية المصرية، والفرمان السلطانى الخاص بذلك، وموقفه من الحركة الدستورية والأزمة المالية، وتسلط عثمان رفقى ناظر الجهادية على العنصر الوطنى، وتفضيله للشراكسة ، وقيام حادث قصر النيل فى فبراير ١٨٨١، وعزل عثمان رفقى، وتولية محمود سامى البارودى مكانه، ومحاولات عرابى تحسين أحوال الجيش عن طريق تقديمه مذكرة إلى ديوان الجهادية ، تدور بنودها حول زيادة المرتبات، وإصلاح أمور الجيش وما يطلبه الحزب الوطنى من الإصلاح بواسطة عرابى والدسائس التى حاكها الشراكسة ضده، وضد الضباط الوطنيين، وقيام عرابى بمظاهرة عابدين فى سبتمبر ١٨٨١، وعزل رياض باشا ، وتولية شريف رئاسة النظار، وإقرارها للقوانين العسكرية، ودعوتها لإنشاء مجلس للنواب، واتمام الانتخابات ووقوع الخلاف

بين النواب، والنظار، بشأن الميزانية، واستقالة شريف باشا، وتكليف محمود سامى البارودى بتشكيل نظارة جديدة ، كان عرابى ناظرا للجهادية فيها، وقيام المؤامرة الجركسية والاتصالات بين العرابيين والبرنس حليم والتدخل الأجنبى فى شئون مصر، وبعثة درويش باشا للنظر فى الخلاف بين الأمة والخديوى، ومذبحة الاسكندرية، ومؤتمر الاستانة وحريق الاسكندرية وضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية، والمعارك بين العرابيين والانجليز التى انتهت بالاحتلال الانجليزى لمصر، ومحاكمة العرابيين، وفى نهاية المخطوط يستعرض عرابى حياته فى المنفى وما تعرض له من متاعب حتى سمح له بالعودة إلى مصر فى عام ١٩٠١ بعد غياب دام تسعة عشر عاما وأربعة اشهر، ومحاولاته استرداد أملاكه المفقودة وفشله فى ذلك.

وحول تقييم هذا المخطوط فمن المسلم به أن عرابى حاول واجتهد خلال كتابته لهذا المخطوط حسب ثقافته وامكاناته حقيقة أنه اقتبس العديد من المعلومات من غيره- خاصة من سليم النقاش[١١] فقد يلتمس له العذر فى ذلك خاصة وأن تأثير تقادم الأحداث التى شارك فيها على ذاكرته، وتجربته

---

(١)على الرغم من أن عرابى هاجم سليم النقاش لأنه كان يرى أن كتابه "مصر للمصريين" يحتوى على الكثير من الافتراءات خاصة وأن أعداء الثورة لفقوا التهم بالثورة وقائدها، والزموا النقاش بأن يخلط مفترياتهم وبهتاتهم بالحقائق التاريخية وبذلك جاء كتابه مشوها فيه الغث والثمين والصدق والكذب. إلا أنه برغم كل ذلك فقد اعتمد عرابى على هذا الكتاب بصفة أساسية أثناء كتابته لمخطوطه لدرجة أنه نقل منه صفحات كاملة وعديدة، وموضوعات بذات عناوينها دون أن يغير لفظا أو يبدل معنى. وقد أشار عرابى إلى ذلك فى قليل من الأحيان كما أنه لم يشر فى أحيان أخرى كثيرة والجدير بالذكر أن من يتفحص ما كتبه عرابى ويقارنه بما كتبه النقاش يجد أن عرابى خلال نقله منه أحيانا لا تعجبه كلمة أو جملة فيقوم بعد كتابتها بشطبها ويكتب فوقها ما يوافق هواه أو يتناسب مع رأيه وعلى سبيل المثال نذكر أنه خلال مظاهرة عابدين نقل عرابى من النقاش أن الخديو اجتمع بضباط وعساكر آلاى الحرس بعابدين ونصحهم بألا يقتدوا بأعمال الألايات الأخرى وأنهم أجابوه بقولهم (نحن فداء ولى نعمتنا) فقام عرابى بشطب هذه الإجابة بعد أن كتبها ووضع فوقها "أننا ذاهبون" مما يؤكد ما ذكرناه. وإلى جانب ذلك فقد نقل عرابى من كتاب النقاش المحاكمات الخاصة برؤساء الحركة الوطنية دون تغيير ولا تبديل كبير فى الألفاظ وان كان قد أضاف وجهة نظره تجاه البعض فى نهاية الاستجواب.

انظر: على سبيل المثال المخطوط صفحات ٣٤، ١٤٤، ٢١٤، ٣٣٣، ٤٦٤، ٦٣٩.

الأولى فى ميدان الكتابة والتأليف قد تجنبه المحاسبة على منهجه أو طريقته فى الكتابة وخاصة وأنه أدخل فى مخطوطه موضوعات لا تنتمى للمذكرات بأية صفة.

يضاف إلى ذلك فإن ما كتبه عرابى يعد مصدرا مهما من مصادر الثورة العرابية، خاصة وأنه قدم فى معظم ما كتبه رؤيته الشخصية لحوادث عاصرها، وكان على رأس المشاركين فيها هذا إلى جانب أن ما كتبه يشرح قصة مصر والمصريين الذين التفوا حوله خلال مواجهته لأعداء الوطن، كما أنه يهدى شباب هذا الجيل سيرة هذا الزعيم المصرى الفلاح الذى آن للتاريخ أن ينصفه، وان يجد له مكانة بين قواد الحركة الوطنية البارزين.

وحول أهمية هذا المخطوط فى مجال الدراسة التاريخية فإنه كان درسا هاما فى دروس منهج البحث التاريخى الذى يؤكد على ضرورة مقارنة ما يكتب تحت عنوان "مذكرات أو ذكريات بالوثائق الأصلية"، والمصادر الرسمية حتى تستبين الحقائق دون أدنى شك أو مواربة.

ثانيا: مذكرات عبد الله النديم:

كتب عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية والرجل الثانى فى الثورة بعد عرابى مذكراته السياسية تحت عنوان "كان ويكون" أثناء فترة اختفائه من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩١ فى ثلاثة أجزاء. وقد طبع الجزء الأول من هذه المذكرات فى مطبعة المحروسة عام ١٨٩٢ فى ٢٥٦ صفحة. ويتضح لمن يقرأ الجزء الأول من الكتاب أنه ناقص من آخره إذ ينتهى عن جملة "فلا تكاد ترى" ثم تنقطع الكتابة عند هذا الحد، ويرجع ذلك من وجهة نظرنا إلى

أن هذا الكتاب كان يطبع على هيئة ملاحق توزع مع مجلة الأستاذ الذى كان يصدرها النديم، ولما أغلقت المجلة فى ١٨٩٣/٦/١٣ بناء على إصدار اللورد كرومر توقف استكمال طبع الكتاب، ولم تطبع الأربعة والستون صفحة الباقية منه كما يذكر صاحب "سلافة النديم".

وفى هذا الكتاب يحكى النديم عن أحواله فى المدة التى كان مختفيا فيها، ومذكراته عن الثورة العرابية كما يحكى عن صديقه الشيخ "سعيد الأزهرى" الذى وجد فيه معينا على امداده بالكتب والمراجع وما يحتاج إليه فى الكتابة[١٢]، وعن صديقه الفرنسى الذى طلب من النديم ألا يكشف عن اسمه[٢] الذى وجد فيه النديم مساعدا له فى وضع كتابه "كان ويكون"، حيث اتفقا على أن يوضع الكتاب على هيئة أسئلة وأجوبة فى المشكلات الدينية والخلافات السياسية بين الشرق والغرب على أن يقدم الفرنسى الأسئلة، ويجيب النديم عليها، وبعد ذلك يقوم النديم بسرد تاريخ مصر سردا مرسلا. وقد أخذ الفرنسى يزور النديم على فترات متقاربة، وكان يحضر زوجته أحيانا معه لتشترك فى المناقشة وتسهم فى المناقشة كما كان يحضر المناقشة أحيانا سعيد الأزهرى[١٣]، وكانت تطول المناقشة أحيانا، ويسهم كل منهم بآرائه وعندما تنتهى المقابلة يخلو النديم إلى نفسه، ويسجل ما دار من حديث ثم يعرضه عليهم قبل الخوض فى غيره.[١٤]

---

(١)أنظر: كان ويكون، جـ١، ص ٢١٩.

(٢) رمز النديم إليه بالحرف (غ) بمعنى أنه من الغربيين.

(١)أشار النديم إليه بحرفى "سع" وهما كما يذكر نصف اسمه، كما أشار إلى زوجة الفرنسى بالرمز "ست" أى الست.

(٢)عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ص ١٤٠.

وعن الجزء الثانى من هذه المذكرات فإنه فقد مثل الكثير من مؤلفات النديم التى تعرضت للضياع، أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الدكتور محمد أحمد خلف الله مخطوطا فى دار الكتب فحققه، وقدم إليه بتمهيد عن حياة النديم، ومكانته وجهوده السياسية والأدبية ثم طبعه فى عام ١٩٥٦ تحت عنوان "عبد الله النديم ومذكراته السياسية".

وهذا الكتاب يشمل مذكرات النديم والدور الذى قام به خاصة عند قيام الثورة العرابية، كما يوجد به خمس رسائل من النديم إلى عرابى، وبعض الخطب والمقالات الخاصة بالنديم.

ثالثا: مذكرات محمود فهمى المهندس عن الثورة العرابية: (١٥)

لمحمود فهمى مذكرات فى ١١١ صفحة موجودة بدار الوثائق ضمن أوراق تحت عنوان "أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين " فيها وهى عبارة عن مذكرات محمود فهمى الخاصة بما شاهده أثناء ضرب الاسكندرية، والأعمال التى قام بها ومذكرة عن تسليم نفسه للانجليز، ومذكرة إلى الخديو يتنصل فيها من التبعات التى أخذت عليه، وتلغراف منه إلى عرابى يخبره فيها بالحالة الحربية وما وصلت إليه من سوء.

وإلى جانب ذلك فقد كتب محمود فهمى كتابا بعنوان "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر"،(١٦) تعرض فيه للثورة العرابية

---

(٣)تقلد منصب باشمهندس الاستحكامات المصرية،ووظيفة وزير الأشغال أثناء وزارة البارودى،وكان زميلا لعرابى فى منفاه لسيلان

(٤)طبع فى القاهرة بمطبعة بولاق فى ١٣١٢ هـ.

ووجهة نظره تجاهها. وترجع أهمية ما كتبه إلى أنه كان أحد شهود العيان الذين شاهدوا هذه الثورة واشتركوا فيها، وكان من رجالها البارزين.. ومع ذلك فينبغى الحذر فيما كتبه حيث يتضح من كتاباته تحامله الشديد على عرابى حتى وصل به الأمر إلى تجنبه على الحقائق التاريخية فأخذ يكيل لعرابى التهم، منها تكذيبه توكيل الأهالى لعرابى بأنه نائبا عن الأمة، واتهامه لعرابى بالخوف الدائم على نفسه[١٧]، وبأن مقصده الأساسى كان عزل الخديوى وحصوله على الخديوية مكانه، وتجنيه على الحقائق بأن الذين دعوا عرابى عند مغادرته القاهرة إلى رأس الوادى كانوا الغوغاء فقط، وإتهامه عرابى بأنه فر من التل الكبير وهو عريان.[١٨]

وترجع إتهامات محمود فهمى لعرابى إلى خصومة حدثت بينهما فى المنفى وبالرغم من ذلك فإن هذا الكتاب يعد من المراجع الهامة فى دراسة تاريخ الثورة العرابية مقدماتها وأحداثها ونتائجها، كما أن محمود فهمى كتب فيه ترجمة حياته وكتب مذكراته الشخصية عن زملائه من زعماء الثورة أثناء نفيهم فى جزيرة سيلان.

وخلاصة القول أن ما كتبه عبد الله النديم ومحمود فهمى يمكن أن نطلق عليه تجاوزا أنه اشبه ما يكون بالمذكرات مع أن الشروط التى يجب أن تنطبق على وصف بعض الكتابات بالمذكرات لا تتوفر كلها فى هذه الكتابات فشرط المذكرات أنها تصور الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه[١٩]،

---

(١) البحر الزاخر، جـ١، ص ٢١٠.
(٢) نفسه، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٧.
(٣) محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، جـ١، ص ١٢.

ولكن ما كتبه النديم ومحمود فهمى كان بعد وقوع الأحداث فكانت كتاباتهما معبرة عن حالتهما وقت الكتابة لذلك يبدو من الصواب القول أن هذه الكتابات أقرب إلى التاريخ منها إلى المذكرات وإذا توخينا الدقة نقول أنها بين بين.[٢٠]

رابعا: مذكرات الشيخ محمد عبده:

بين الشيخ محمد عبده فى مذكراته التى نشرت تحت عنوان "آراء ومذكرات"[٢١]، أسباب هذه الثورة وحوادثها، ثم توقف فى سرد الأحداث عند مظاهرة عابدين. وقد أرجع محمد رشيد رضا تلميذ الأمام وكاتب سيرته ذلك إلى أن الخديوى "عباس الثانى" عندما رأى ما كتبه الشيخ محمد عبده عن مقدمات الثورة وأسبابها ساءت العلاقات بينهما وانتهت إلى المغاضبة الشديدة. ويعود السبب فى ذلك إلى أن الشيخ محمد عبده أرجع أسباب الثورة إلى إسراف الخديو إسماعيل وسوء إدارته للبلاد كما ألقى التبعة على ما وصلت إليه الأحوال إلى الخديو توفيق مباشرة.

ولما كانت الظروف غير مواتية لاتمام هذه المذكرات فقد أرجأ الشيخ محمد عبده استكمالها منتظرا سنوح الفرصة، ولكن الأجل قد وافاه قبل أن يتمها، ولما لم تظهر المذكرات إلى النور فقد قام محمد رشيد رضا بتلخيصها ونشرها ضمن الكتاب الذى قام بتأليفه عن تاريخ الشيخ محمد عبده.[٢٢]

وقد بدأ الشيخ محمد عبده مذكراته بوصف أحوال مصر عندما نزل الخديو إسماعيل عن العرش، وظروف تولية الخديو توفيق، كما أوضح أن

---

(٤) نفسه.
(٥) نشرتها الدار القومية للطباعة تحت عنوان "آراء ومذكرات"- مذكرات عن الثورة العرابية.
(١) انظر تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى أجزائه الثلاثة التى طبعتها مطبعة المنار.

النهضة الوطنية التى ظهرت فى مصر ترجع إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى وما له من أثر على ازدهار الصحافة العربية وترقية أفكارها، فانطلقت الألسنة والأقلام بأفكار الأفغانى، ثم تحدث عن قلق ضباط الجيش من تأخير رواتبهم ومهاجمتهم نظارة المالية عام ١٨٧٩ وأرجع ذلك إلى تشجيع الخديو لهذه الحركة. ثم تحدث عن سيرة إسماعيل باشا وتبذيره، وسوء أحوال البلاد، وسعى انجلترا وفرنسا لخلعه ثم انتقل إلى الحديث عن جمال الدين الأفغانى، وتأسيسه الحزب الوطنى، وما بينه وبين الأمير توفيق من محادثات فى هذا الأمر.

كما تحدث عن الخديو توفيق فذكر أنه لم يكن شرها ولا مسرفا مثل أبيه بل كان عفيفا رحيما، وكان لطلاب الاصلاح فيه آمال كبيرة حال دون تحقيقها ضعفه وسوء أفراد حاشيته الذين لا يقيمون وزنا لمصالح أهالى البلاد، ولما قدم القناصل الأدلة للخديو على خطورة جمال الدين الأفغانى نفاه من مصر مما كان له أكبر الأثر فى تحول القلوب عنه. ثم بين الشيخ محمد عبده ما حدث فى الجيش عندما قدم جماعة من الضباط عريضة إلى الخديو يطلبون فيها عزل ناظر الجهادية، كما تحدث عن ازدياد نفوذ الأجانب فى مصر خلال حكم توفيق، وأرجع أسباب قيام الثورة العرابية إلى ذلك، وأوضح أنه لم يكن راضيا عن حركة العسكريين فى بداية الأمر، لأنه كان يرى ضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم حتى تجبر الحكومة على السير فى طريق العدالة. ويتوقف الكتاب عند حادثة عابدين، وعزل وزارة رياض باشا وتولية شريف مكانه.

وتحليلا لما كتبه الشيخ محمد عبده يتضح لهجته الودية تجاه وزارة رياض، يضاف إلى ذلك أنه أظهر تحفظاته تجاه العرابيين وندد بهم فى أول الأمر لاعتقاده أن ما قام به عرابى كان يمثل خطورة على البلاد، وأن الثورة العسكرية ستؤدى إلى احتلال أجنبى يطيح باستقلال مصر وعلى أى حال فإن الشيخ محمد عبده أوضح وجهة نظره كأحد تلاميذ الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالإصلاح، وأنه كأحد شهود العيان الذين شاهدوا أحداث الثورة العرابية وشاركوا فى اتخاذ بعض القرارات الهامة يجب أن يوضع ما كتبه موضع الاعتبار.

وإلى جانب ذلك فهناك مذكرات شخصية كتبها بعض من عاصروا فترة الثورة العرابية مثل مذكرات "إبراهيم الهلباوى" الملونة بالهجوم على العرابيين، ومذكرات "مصطفى ياور" حاكم دنقلة أثناء الثورة العرابية والتى تحتوى على قدر كبير من الوقائع التى تتحدث عن السودان وعرابى باشا. وعلى أى حال فمع أن العديد من المؤرخين والباحثين يعطون هذه الكتابات أهمية خاصة، ويضعونها فى قائمة مصادرهم خاصة وأن كتابها أدوا أدوارا هامة على مسرح الأحداث، وسجلوا بأعمالهم صفحات مؤثرة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر.

الكتب والوثائق المصرية عام ٢٠٠٥

- سليم النقاش: مصر للمصريين، الاسكندرية، مطبعة المحروسة ، ١٨٨٤.

- عبد الله النديم: كان ويكون. الجزء الأول، القاهرة، مطبعة المحروسة، ١٨٩٢.
- عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠.
- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٣ أجزاء) القاهرة مطبعة المنار ١٩٠٨ ، ١٩١٠ ، ١٩٣١.
- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، جـ١ بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢-١٩٣٦، القاهرة- النهضة المصرية ١٩٥٢.
- محمد عبده (الامام) آراء ومذكرات عن الثورة العرابية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.
- محمود فهمى (المهندس): البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، جـ١، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٢هـ.

ثانيا: الأجنبية:

- Blunt , W,S : Secret History of the English Occupation of Egypt. London.
- Broadley , A.M: How we Defended Arabi and his Friends , A Story of Egypt and the Egyptians , London, 1884.
- The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha , 1882- 1902 (3 Vol).